MENA RESEARCH CENTER

مركز أبحاث ودراسات مينا

الثقافة الجنسية؟ بين العلم وفقهاء اليوم!

أحمد الرمح

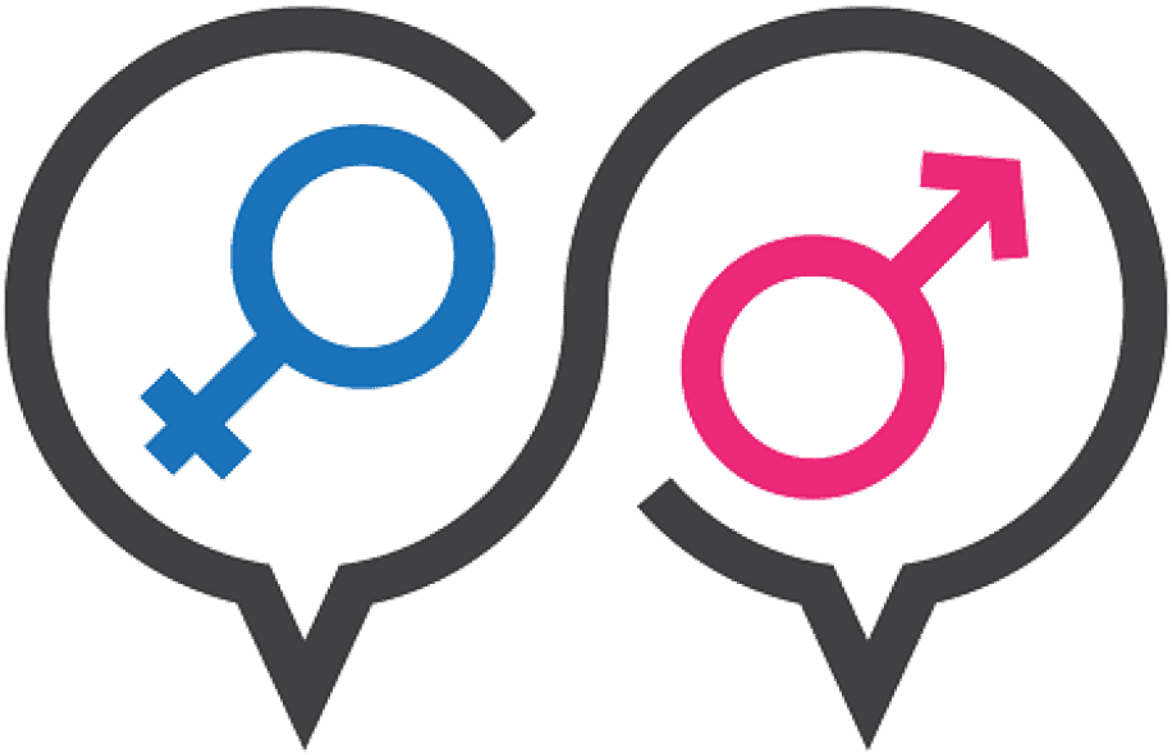

حقوق النشر والطبع ورقياً والكترونياً محفوظة لصالح مركز أبحاث ودراسات مينا.

ملخص الدراسة:

الحديث عن الثقافة الجنسية يتسع ويضيق تبعاً لوعي المجتمع وانفتاحه، وأما تحريم الحديث فيها؛ فيولد كبتاً جنسياً ما يؤدي إلى سلوك لا أخلاقي، وهذا ما بات فاحشاً من خلال ظواهر التحرش والشذوذ المسكوت عنه! وجرائم الشرف وسواها في مجتمعاتنا.

فالثقافة الجنسية أصبحت اليوم علماً قائماً بذاته؛ له فوائده التربوية والنفسية؛ تهتم به الدول المتحضرة؛ وتجعله مادة مقررة في منهاجها التربوية، ويُطلق عليه في العلم الحديث «الجنسانية» ليشمل كل ما يتعلق بالعملية الجنسية من الإخصاب، والحمل، والجنين، والتواصل الجنسي، والعلاقات فيه، وطرق تفادي الأمراض الجنسية، ووسائل منع الحمل. وله دور مهم في الصحة النفسية؛ ويقي من الشذوذ الجنسي ذي المآلات الخطيرة على الإنسان.

تحاول هذه الدراسة البحث في الثقافة الجنسية كعلم معاصر نال اهتمام مناهج التربية الحديثة؛ وجعلته الأمم المتحدة من نشاطاتها المتعددة، وتبحث في الذريعة التي اتكل عليها فقهاء اليوم؛ حتى اعتبروا هذا العلم التربوي ممنوعاً؛ وتثبت الدراسة أن الإسلام اهتم بهذا العلم؛ كما أن المسلمين سابقاً كتبوا فيه بكل صراحة؛ ولم يكن الحياء المغشوش مانعاً لهم في تعريف المجتمع به، نعالج هذه القضية من خلال المحاور التالية.

محاور الدراسة:

- **المقدمة**
- **الثقافة الجنسية كعلم معاصر!**
- **الثقافة الجنسية في مجتمعاتنا؟**
- **كهنة الصحوة الإسلامية يمنعون الثقافة الجنسية!**
- **الثقافة الجنسية في الإسلام!**
- **الثقافة الجنسية في التراث الإسلامي؟!**
- **الخاتمة والنتائج**

المقدمة:

لا يمكن أن تقف ديانة ما؛ سماوية كانت أم وضعية؛ أم اجتهاداً فقهياً؛ ولا قانوناً وضعياً ضد أشياء قد فُطِرَ عليها الإنسان غريزيًا؟ فكل ما هو ضد الفطرة لا يمكن أن يكون مصدره السماء؛ ومن القضايا الفطرية التي فطر الله الناس عليها وكذا بقية مخلوقاته ألا وهو العملية الجنسية وإلى ذلك تُشير الآية الكريمة:

فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. الروم: ٣٠

وعندما سكتت الحضارات القديمة عن الحديث في الثقافة الجنسية لانغلاقها الاجتماعي؛ كانت عشرات الأحاديث النبوية في هذا الباب كسراً لهذا (التابوه) حتى قال المتخصصون في هذا العلم؛ إن أول من تحدث عن الثقافة الجنسية وأكثرهم هو النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

الثقافة الجنسية كعلم معاصر!

الحديث في هذا الباب أصبح اليوم علمًا بحد ذاته؛ يعبِّر كثيرًا عن وعي المجتمع وانفتاحه، ويُطلق عليه في العلم الحديث «الجنسانية» ليشمل كل ما يتعلق بالعملية الجنسية من الإخصاب، والحمل، والجنين، والتواصل الجنسي، والعلاقات فيه، وطرق تفادي الأمراض الجنسية، ووسائل منع الحمل.

يخضع الوالدان في الدول المتقدمة لدورات في الثقافة الجنسية، وتقوم وسائل التواصل الاجتماعي المتخصصة بعمليات توعيةٍ، وترشيدٍ لهذه الثقافة لتفادي الأمراض الناتجة عن العلاقات غير الطبيعية، وهناك برامج تربوية علمية في المدارس لتثقيف التلاميذ؛ ففي كل من أمريكا وكندا تعدُّ الثقافة الجنسية مادة أساسية في المنهاج التعليمي للمرحلتين الإعدادية والثانوية، كما تدخل تلك الثقافة في البرنامج المدرسي كعلم الأحياء، والصحة، والتربية البدنية، ويتم التركيز على تعليم «الجنس الآمن» والسلوك الجنسي فيه، والأخلاق الجنسية. حتى غدت الجنسانية علماً متكاملاً في هذا المضمار.[1]

ويشدد علم النفس الاجتماعي اليوم على تنظيم الحياة الجنسية، وضبطها، كونها من العلامات المميزة للإنسان عن باقي الكائنات الحية لدورها في استقراره نفسيًا وصحيًا واجتماعيًا وحتى ثقافيًا. كما يمنح الإنسان وقاية ثقافية بعد أن أصبحت بعض المواقع الإباحية تقدمها بأسلوب بهيمي.

وقد اهتمت الأمم المتحدة من خلال «اليونسكو» في هذا الجانب كثيرًا؛ فقدمت إرشادات تقنية دولية بشأن التربية الجنسية؛ ووزعتها على البلدان الأعضاء فيها؛ وأقامت الندوات العلمية في بلدان متعددة، ونشرت أبحاثًا حولها ومن ذلك كتاب: «إرشادات تقنية دولية بشأن التربية الجنسية» وهو منهج علمي بشواهد علمية لمدربي الثقافة الجنسية في جزئين منفصلين.[2]

الثقافة الجنسية في مجتمعاتنا؟

مجتمعاتنا ومؤسساتها التعليمة لا تقيم وزنًا لهذه الثقافة المهمة، وتعدُّ هذا العلم خادشًا للحياء، بل ذهب بعضهم في تعليل منعها بالتخوف من مضمونها! ومجتمعاتنا بوصفها مجتمعات مغلقة ومحافظة! تعاني كثيرًا إهمال هذه المسألة المتعلقة بالصحة النفسية سواء قبل الزواج أم بعده.

في تحقيق استطلاعي حول الموضوع قيل: إن من أسباب رفض المجتمعات الإسلامية لفكرة إدراج الثقافة الجنسية في المناهج التدريسية، أو التحفظ على تناولها في حوارات مفتوحة، الخوف من مضمون تلك المواد وطريقة عرضها والآثار المترتبة عليها، والتحرج الشديد عند تناولها، وعرضها، ومناقشتها علانية، وبشكل مفتوح. واشترطوا لتحقيق ذلك الابتعاد عن الشهوانية في أسلوب عرضها، في حين ذهب آخرون إلى بقاء الأمر محصورًا عند الوالدين! بينما ذهب مختصون إلى ضرورة جعل

---

١ راجع حول الجنسانية: www.msdmanuals.com/ar/home/اضطرابات-الصحّة-النفسيّة/الجنسانيّة-أو-السُّلوك-الجنسي/لمحة-عامة-عن-الجِنسَانِيّة

٢ http://www.unesco.org/new/ar/hiv-and-aids/our-priorities-in-hiv/sexuality-education/international-technical-guidance-on-sexuality-education/

الثقافة الجنسية من أساسيات التعليم في بلداننا مع ترشيد تعليمها.[٣]

يتحدث الروائي والأكاديمي الجزائري أمين الزاوي عن خطورة غياب الثقافة الجنسية في ظل التكنولوجيا الحديثة:

مازالت الثقافة الجنسية « تابوهاً « أمام الجميع، إذ يعم المجتمعات الإسلامية نوع من انفصام الشخصية، فهي من جهة من أكثر المجتمعات استهلاكاً لثقافة الجنس في شكلها الاستهلاكي السطحي، والمتمثلة في أفلام الخلاعة الخالية من أي حس جمالي أو علمي أو «بيداغوجي»، ومن جهة أخرى هي أكثر المجتمعات التي تنادي نفاقاً بالطهرانية وتغليف المرأة بمختلف أشكال الأقمشة. وما زاد الإنسان المسلم غرقاً في هذه الفوضى ذلك الفيضان من التكنولوجيا التي تحاصره من كل جهة، فتجرف معها إليه كل ثقافات العالم، لتصل إلى طعامه، ولباسه، ومركبه، وسريره. وهو الأمر الذي ولّد خللاً في «سيكولوجية» الفرد المسلم، «المحاصر» باسم «تدين» متشدد يحمله فقهاء الفتاوى الخارجة عن التاريخ، فيمنعون عنه كل أشكال التعبير عن هواجسه الجنسية؛ ولأن صوت الفقيه المتشدد المنتهي الصلاحية التاريخية، والفكرية، أعلى من صوت العالم الطبيب والفيلسوف الذي يجس نبض الحياة بكل تجلياتها في المجتمع، ولأن الأمر كذلك، فقد بدت الثقافة الجنسية مسألة غائبة، ومن المسكوت عنه في مجتمعاتنا، وهو ما زاد من هذه الفوضى..! وبالتالي عَرف المجتمع أمراضاً جنسية خطيرة، لا بين الشباب فقط، بل بين الكبار أيضاً؛ كالاغتصاب، والأمراض المتنقلة عبر العلاقات الجنسية السرية، أو أمراض عنف ليلة الدخلة في أعراس البدو والأمراض الناتجة عن الزواج المتأخر لدى النساء والرجال على حدّ سواء وغيرها. [٤]

كهنة الصحوة الإسلامية يمنعون الثقافة الجنسية

توسع كهنة الصحوة الإسلامية وسدنة السلفية المعاصرة في دائرة التحريم؛ إذ أحرجهم كثيراً التقدم العلمي والتكنولوجي في عصرنا؛ فاستعانوا بالمصدر الأصولي المسمى «سد الذريعة» الذي نراه لا يختلف كثيراً عن قانون الطوارئ لدى الأنظمة الاستبدادية؛ لمنع أشياء مستحدثة/معاصرة وتحريمها خوفاً من إيصال المستخدم لها لما هو محظور أخلاقياً في مجتمعاتنا؟! فجعلوا الثقافة الجنسية من الممنوعات والمحرمات كونها تثير الشهوة! وعدُّوا ذلك من أسرار البيوت؟ فأدخلوا المجتمع بمتاهات نتج عنها أمراض نفسية أدت إلى نوع من أنواع الكبت الجنسي..!

ولكي يعوضوا هذا النقص التربوي في الحياة الدنيا، أطنبوا الحديثَ عن الجنة كثواب للمسلم؛ فأساؤوا لهذا الثواب الإلهي حينما جعلوه نوعاً للتعويض الجنسي في الدنيا؛ وهذا خطأ فاحش؛ فكأنهم يقولون: إن ثواب إيمانكم بالله هو الحوريات والجنس المستمر؛ وكأن الإنسان يدخل الإسلام كي يحظى بالحوريات، ويمارس الجنس معهنَّ!؟ وهذا تحريف قبيح لمفهوم الإيمان والجنة وثوابها.

والحديث عن الثقافة الجنسية يتسع ويضيق تبعاً لوعي المجتمع وانفتاحه، وأما تحريم الحديث فيها؛ فيولد كبتاً جنسياً ما يؤدي إلى سلوك لا أخلاقي، وهذا ما بات فاحشاً من خلال ظواهر التحرش والشذوذ المسكوت عنه! وجرائم الشرف وسواها في مجتمعاتنا.

والعجيب أنّ هؤلاء الكهنة والسدنة علّلوا منع الحديث عن هذه الثقافة وتحريمه حماية للإسلام؛ وصيانة للمجتمع؛ فلربما تُثير الشهوات! فشاهدنا عشرات مقاطع «اليوتيوب» لهم يحذرون من هذا العلم؟ ويستخفون بالمرأة! وذهب بعضهم لاعتبار الحب زنى؟!

يقابل هذا الانغلاق إفراط شديد في الحديث عن المرأة بوصفها فتنة والتخويف منها؛ كما روجوا بذكورية فاقعة بأنّ المرأة ليست إلا وعاء جنسياً! لا شريكة وصنواً للرجل كما قدمها القرآن والسنة النبوية، فحرموا كل العلاقات الاجتماعية التي يختلط فيها الرجال بالنساء تحت سد الذريعة بالوقوع في المحرم، يقابل ذلك حديث مستفيض عن العمليات الجنسية في الجنة، حتى إن أحد هؤلاء السدنة

---

٣ الثقافة الجنسية.. كيف تقدم بمحتوى يلائم مجتمعاتنا؟ بسام ناصر. تحقيق. العربي ٢١.

٤ غياب الثقافة الجنسية. أمين الزاوي. موقع العرب. بتصرف طفيف.

جزم بأن مهمة المسلم في الجنة تتمثل بفض بكارة الحوريات..![5]

وقاموا بترغيب المتطرفين وتشجيعهم على العمليات الانتحارية بثواب حُصُولِهم على عدد أكبر من الحوريات الأبكار في الجنة، كما عوَّضوا هذا الكبت الجنسي بتعدد الزواج، بطريقة فيها إهانة للمرأة؟ حيث يستبدل الجهادي العديد من نسائه، ليُبقي على أربعة كما أجاز له الشرع! وكأن الإسلام جعل التعدد خاضعًا لفيض الكبت الجنسي بعيداً عن المودة والرحمة التي بيّنها الخالق في قرآنه! ومنهم من أباح ضرب المرأة الممتنعة عن فراش زوجها! وهذا ما يسمى حقوقياً باغتصاب الزوجة.

ونتيجة فتاوى المنع والتحريم أصبح الجنس من شواغل العقلية المسلمة؛ وتحولت العلاقة بين الرجل والمرأة إلى حالة جنسية بحتة؛ ولعل هذا سر من أسرار فشل الحياة الزوجية، وقضايا الطلاق المتسعة في مجتمعاتنا! وهذه كلها افتراضات فقهية تدحضها وقائع السنة النبوية والتراث الإسلامي.

الثقافة الجنسية في الإسلام

بما أن بعض أهداف الإسلام نصرة الضعفاء والمهمشين، وبما أنّ المرأة في البيئة العربية مهمشة وضعيفة؛ إذ يسلبها الرجل حقوقها؛ اهتم الإسلام كثيرًا بالثقافة الجنسية؛ التي غالبًا ما تُظلم فيها المرأة؛ فقام بعملية ترشيد وتنظيم للعلاقة الجنسية، فحرم أنكحة الجاهلية كنكاح الاستبضاع والرهط وغيرها؛ وأباح التعددية المشروطة.[6] كما تحدث القرآن الكريم عن هذه الثقافة بإجمال، وترك للنبي التفصيل فيها فقال:

نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ. البقرة: آية٢٢٣

وعدَّ العلاقةَ الزوجية من آيات الله؛ فوضع لها ضابطين إنسانيين اثنين دونهما تغدو جحيمًا وهما الحب والرحمة:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. الروم: آية٢١

وعدَّ المتخصصون المعاصرون في الثقافة الجنسية أنّ النبي كان أول من تكلم في هذا الباب، إذ تطرّق في أحاديثه للثقافة الجنسية؟ ولا عجب في ذلك فالرسول مرجع المسلمين في كل شيء، ولو تتبعنا هذه الأحاديث لوجدنا معظمها لصالح المرأة، فجاء النهي النبوي أن يقع الرجل على زوجته بطريقة بهيمية، وطلب من الرجل أن تسبق العملية الجنسية مداعبة قائلًا: اجعل بينك وبينها رسولًا.

وبينت السيدة عائشة بعض أنواع القُبلة التي كان يمارسها النبي مع أزواجه، كما أمر الرجل أن يراعي شهوة المرأة أثناء ذلك، وكان يلح على «جنسانية» المرأة حتى تقضي وطرها من اللذة والشهوة، وأنْ لا يكون الرجل أنانيًا لشهوته فقط، وحتى عملية القذف ومراعاة المرأة وحقها في الاستمتاع، وتحدث الرسول الكريم كذلك عن طرق الجماع حينما رفض نسوة المدينة طرق المهاجرين في الجماع نتيجة ثقافة اليهود آنذاك؛ وأباح من تلك الطرق ما كان ممنوعًا في يثرب قبل الهجرة، وتضمنت تلك الأحاديث ألفاظًا جنسية صريحة وأحاديث ثبتت صحتها عند المحدثين. حيث كان النبي الكريم يذكر الأعضاء التناسلية بالاسم في توضيح بعض القضايا الجنسية للتأكد دون أن يجد في ذلك حرجًا؛ وكذا أمهات المؤمنين وبعض الصحابة، ولم يجدوا في ذلك حرجًا كالذي نجده اليوم نتيجة تضييق كهنة

---

٥ شاهد هذا الفيديو الذي يتحدث عن ذلك

٦ روى البخاري: عن عائشةُ أنَّ النِّكاحَ كانَ في الجاهليَّةِ على أربعةِ أنحاءٍ فكانَ منها نكاحُ النَّاسِ اليومَ يخطبُ الرَّجلُ إلى الرَّجلِ وليَّتَهُ فيُصدِقُها ثمَّ ينكحُها ونكاحٌ آخرُ كانَ الرَّجلُ يقولُ لامرأتِهِ إذا طهُرَت من طمثِها أرسلي إلى فلانٍ فاستبضعي منهُ ويعتزلُها زوجُها ولا يمسُّها أبدًا حتَّى يتبيَّنَ حملُها من ذلكَ الرَّجلِ الَّذي تستبضعُ منهُ فإذا تبيَّنَ حملُها أصابَها زوجُها إن أحبَّ وإنَّما يفعلُ ذلكَ رغبةً في نجابةِ الولدِ فكانَ هذا النِّكاحُ يسمَّى نكاحَ الاستبضاعِ ونكاحٌ آخرُ يجتمعُ الرَّهطُ دونَ العشرةِ فيدخلونَ على المرأةِ كلُّهم يصيبُها فإذا حملت ووضعت ومرَّ ليالٍ بعدَ أن تضعَ حملَها أرسلت إليهم فلم يستطع رجلٌ منهم أن يمتنِعَ حتَّى يجتمعوا عندَها فتقولُ لهم قد عرفتُمُ الَّذي كانَ من أمرِكم وقد ولدتُ وهوَ ابنُكَ يا فلانُ فتسمِّي من أحبَّت منهم باسمِهِ فيَلحقُ بِهِ ولدُها ونكاحٌ رابعٌ يجتمعُ النَّاسُ الكثيرُ فيدخلونَ على المرأةِ لا تمتنعُ مِمَّن جاءها وهنَّ البغايا كنَّ ينصبنَ على أبوابِهنَّ راياتٍ يكنَّ علمًا لِمن أرادهنَّ دخلَ عليهنَّ فإذا حملت فوضعت حملَها جمعوا لها ودعوا لهمُ القافةَ ثمَّ ألحقوا ولدَها بالَّذي يرونَ فالتاطهُ ودُعيَ ابنَهُ لا يمتنعُ من ذلكَ فلمَّا بعثَ اللَّهُ محمَّدًا صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ هدمَ نكاحَ أهلِ الجاهليَّةِ كلَّهُ إلَّا نكاحَ أهلِ الإسلامِ اليومَ.

الصحوة وسدنة السلفية.[٧]

الثقافة الجنسية في التراث الإسلامي؟!

كان للمسلمين خبراء متخصصون في الثقافة الجنسية؛ مثل قاضي الأنكحة، وقاضي النساء، وكذلك كانت هناك نسوة متخصصات يستخدمن كخبيرات في الخلافات الجنسية بين الزوج وزوجه، وتحدثت أهم كتب الفقه الإسلامي عن تلك الثقافة وبألفاظ صريحة دون حرج.

كما تحدث فقهاء كبار عن الثقافة الجنسية من خلال استحباب الملاعبة والمداعبة قبل الجماع، ومن هؤلاء الإمام النووي في «روضة الطالبين» (٢٠٧/٧) وابن قدامة في «المغني» (٣٠٠/٧) وابن القيم في «زاد المعاد» (٢٣١/٤) وابن الحاج في «المدخل» (١٨٥/٢) والصنعاني في «التنوير شرح الجامع الصغير» (٣١٢/٨) وغيرهم.

فقد ذكر ابن حجر في أشهر كتب الإسلام «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» مص لسان المرأة في القبلة، كما ذكر الإمام مالك نوعاً آخر من طرق المص ففي الموطّأ أن رجلًا سأل أبا موسى الأشعري فقال: إنني مصصت من امرأتي من ثديها لبناً فذهب في بطني. وكان يستفتي هل تحرم عليه أم لا؟ كذلك تحدث ابن القيم وهو أحد أهم أئمة السلفية عن الثقافة الجنسية قائلًا: مما ينبغي تقديمه على الجماع ملاعبة المرأة وتقبيلها، ومص لسانها، وكان رسول الله يقبل عائشة، ويمص لسانها، وأحسن أشكال الجماع أن يعلو الرجل المرأة مستفرشًا لها بعد الملاعبة والقبلة، وبهذا سميت المرأة فراشاً.[٨]

وكان للصحابة نصيب من هذه الثقافة منها على سبيل المثال في زفاف عائشة بنت طلحة إلى زوجها مصعب بن الزبير، سمعت امرأة بينها وبينه وهو يجامعها شخيرًا وغطيطًا في الجماع؛ لم تسمع مثله، فقالت لها في ذلك، فردت عليها عائشة: إن الخيل لا تشرب إلا بالصفير.!

وتحدث الإمام أبو حامد الغزالي عن هذه الثقافة في كتابه الشهير إحياء علوم الدين: «إذا قضى الرجل وطره، فليتمهل على أهله، حتى تقضي هي أيضًا نهمتها، فإن إنزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها، ثم القعود عنها إيذاء لها، والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان». كما تحدث عن القذف السريع ووصفه بالتفصيل.

وأما التراث الإسلامي فكان زاخرًا بكتب الثقافة الجنسية؛ وصل عددها إلى أكثر من (١٠٠) كتاب؛ فصّلت فيها تفصيلًا لم تصل إليه أكبر المؤسسات العلمية المتخصصة بذلك؟ منها على سبيل الذكر لا الحصر؛ كتاب الحيوان للجاحظ في القرن الثاني للهجرة؛ والأغاني لأبي فرج الأصفهاني بنفس القرن، والعقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي في القرن الرابع الهجري، وطوق الحمامة لابن حزم الأندلسي في القرن الخامس في الحب ومظاهره وأسبابه والجنس في القرن الخامس. والكتاب الشهير تحفة العروس ومتعة النفوس لابن أحمد التيجاني في القرن الثاني عشر الهجري.

ويبقى كتاب «نواضر الأيك في معرفة النيك» للعالم الموسوعي جلال الدين السيوطي في القرن العاشر الهجري؛ أحد أهم المؤلفات في الثقافة الجنسية؛ إذ حول الحديث عن الجنس من خلال كتبه إلى ثقافة عامة، ونجح في ذلك عندما جعله متاحًا للجميع، وأخرج هذه الثقافة من حيز الحياء والممنوعات والأحاديث الأسرية الضيقة؛ فجعلها علمًا قائمًا بحد ذاته، ولقد تحدث فيه عن الوضعيات الجنسية وعددها حتى أوصلها إلى مئة وخمسين وضعية! كما شرح الممارسات الجنسية غير المناسبة صحيًا، واستفاض بأسماء الأعضاء التناسلية، ومرادفاتها باللغة العربية، وأفرد بابًا للمقويات الجنسية من الأطعمة والأشربة، وبيّن أهمية الجنس في حياة الإنسان؛ ودوره في الصحة النفسية للزوجين.

ولم تكن كتب الإمام السيوطي في هذا الباب كتبًا فقهية، إنما كانت تأسيسًا غير مسبوق للثقافة الجنسية عند العرب والمسلمين، وبيانًا لأثرها الصحي جسديًا ونفسيًا على الرجل والمرأة، وأما كتابه

---

٧ راجع في هذا البحث جملة من الأحاديث والآثار الصحيحة تلفظت بالأعضاء التناسلية دون حرج.

٨ زاد المعاد: ٢٣٦/٣

الآخر في هذا الباب «شقائق الأترج في رقائق الغنج» فقد جعله على أربعة فصول، ذكر فيه أقوالًا وأشعارًا وعبارات الدلال ودقائق العلاقة الجسدية بين المحبين والأزواج أثناء الجماع والغنج، وبعض طرق الجماع. وكتابه الثالث «نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسمر» أورد فيه قصائد شعرية في المرأة البيضاء، واستعرض ما قيل في فضل السمر، ومدح المرأة السوداء، وعدّها من السمر. والوشاح في فوائد النكاح، وتُنسب له كتب أخرى في هذا الباب.

ختاماً

إن فتاوى المنع والحرمان في موضوعات باتت اليوم علمًا من العلوم المهمة والمؤثرة في الصحة النفسية والجسدية؛ إنما هي فتاوى لا تمت لعصرنا بصلة، وتمثل حالة تخلف علمي بائسة، كما أنها مخالفة لتعاليم الإسلام وسنة نبيه الكريم، وهدي الصحابة ومسار العلماء السابقين.

ونظرًا لما تقدمه اليوم ثورة التكنولوجيا من خلال مواقع التواصل؛ يجعلنا نطرح هذا الموضوع ذا الأثر البالغ على الأسرة كلها؛ وإنّ واقعنا الاجتماعي يعيش وضعًا فوضويًا وكارثيًا في الحياة الجنسية، يتطلب أن يتصدى له المتخصصون في هذا العلم؛ وأن تُسن القوانين الضابطة لهذه الفوضى؛ حتى نتخلص من سلوك بات ذا خطر على أبنائنا وبناتنا؛ ومن خلال الثقافة الجنسية نستطيع ضبط كل تلك الانحرافات في سلوكهم، ومعالجة الخلل النفسي الناتج عن الكبت الجنسي، ولابد من وقفات شجاعة في ذلك قبل أن نخسر أجيالًا أخرى خرجت للحياة معتلة نفسيًا وجسديًا.

إنّ تدريس الثقافة الجنسية بطرق ما للناشئة؛ يحفظ لهم توازنهم النفسي، ويجعلهم أكثر تفرغًا لبناء مستقبل مجتمعاتنا على نحو صحيح وسليم. ولقد أحسنت تونس عندما جعلت تلك الثقافة من المواد الأساسية في المنهاج الدراسي؛ كما تدرس الجزائر الأمر نفسه، فتطور وسائل التواصل الاجتماعي المذهل؛ سينسف كل هذه المحظورات الموهومة؛ وإن التعلل بالحياء ذريعة متهافتة أمام قضايا تتعلق بالصحة وتربية الناشئة تربية علمية صحيحة. ولا يمكن منعُ علم ما؛ له أثره الإيجابي في الصحة النفسية والجسدية بذريعة الحياء.

والله من وراء القصد.

MENA RESEARCH CENTER

مركز أبحاث ودراسات مينا